المشهد الإقليمي في الشرق الأوسط عقب انهيار نظام الأسد

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

أشار «فالي نصر»، من جامعة «جونز هوبكنز»، إلى إجماع الأكاديميين والخبراء الغربيين، ومراكز الفكر الرائدة في واشنطن، ونيويورك، ولندن؛ بأن أحداث النصف الثاني من عام ٢٠٢٤، التي بلغت ذروتها بانهيار نظام بشار الأسد في سوريا خلال ديسمبر، قد أذنت ببداية فصل جديد في تاريخ الشرق الأوسط.

واعتبر العديد من المعلقين سقوط نظام الأسد «نكسة استراتيجية كبرى لإيران»، حيث تزامن ذلك مع تراجع ملحوظ في نفوذ حزب الله في لبنان؛ نتيجة حملة القصف والغزو البري التي شنتها إسرائيل. كما كشفت المواجهات المتبادلة بين إيران وإسرائيل على مدار العام عن عجز الدفاعات الجوية والقدرات الصاروخية الإيرانية في التصدي للهجمات. وعلّقت «لينا الخطيب»، من «المعهد الملكي للشؤون الدولية»، على الانهيار الواضح لمحور المقاومة الإيراني، مشبهة سقوط نظام الأسد بسقوط الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، معتبرة ذلك «زلزالاً يضرب النظام الإقليمي».

وعلى عكس التوقعات التي تأمل أن «تمهد هذه الأحداث لفترة من السلام والاستقرار في المنطقة»؛ حذر «نصر»، من أن «السيناريو الأكثر ترجيحًا»، هو «تصعيد المنافسة الإقليمية». وفي مقال نشرته «سوزان مالوني» بمجلة «فورين أفيرز» في ديسمبر ٢٠٢٤، تحت عنوان «الوضع الطبيعي الجديد الخطير في الشرق الأوسط»، أشارت إلى أن الصراع العسكري بين إيران وإسرائيل، قد أدى إلى «تحول زلزالي»، أرسى ما وصفته بـ«توازن دقيق للفوضى» في المنطقة، حيث بات الاستقرار هشًا إلى حد كبير.

وبينما واجهت إيران العديد من النكسات، وازدادت جرأة حكومة «بنيامين نتنياهو»، اليمينية المتطرفة، بتدميرها لغزة، وتنفيذ هجمات على لبنان، وصولاً إلى غزو سوريا -وهو ما وصفته «سوزان مالوني» بأنه جعلها «أقوى من أي وقت مضى» -فقد أشارت الباحثة إلى استمرار اعتبار كل طرف تهديدًا «وجوديًا ومتأصلاً» للآخر، مما يجعل خطر اندلاع صراع شامل بينهما، «أمرًا قائمًا».

وفي ظل هذا الوضع الجيوسياسي الهش في الشرق الأوسط، تبرز عودة «دونالد ترامب» إلى السلطة في واشنطن، كتطور يحمل تداعيات مهمة. وأشار «بول سالم»، من «معهد الشرق الأوسط»، إلى أن «النظام الإقليمي الذي تركه في عام ٢٠٢١ يختلف جذريًا عن المشهد الذي سيواجهه عند عودته في يناير ٢٠٢٥». وبينما يستعرض الباحث السيناريوهات القريبة المحتملة، التي تشمل «تصعيدًا عسكريًا» بين إسرائيل وإيران قد «يخرج عن السيطرة»، أو اندفاع طهران لتطوير «سلاح نووي»، كوسيلة ردع نهائي ضد المزيد من الهجمات؛ ترى «مالوني»، أن على ترامب «اغتنام الفرصة لإبرام اتفاق إقليمي»؛ لتجنب كارثة محتملة في المنطقة.

وفي تحليلها للأحداث، أوضحت أن التصعيد الإسرائيلي في عام ٢٠٢٤، الذي شمل استهداف القدرات العسكرية لحزب الله في لبنان، والاستيلاء على أراض سورية في ديسمبر، بالإضافة إلى الغارات الجوية المكثفة على إيران في أبريل وأكتوبر باستخدام الصواريخ والمسيرات المسلحة؛ أدى إلى دخول «الحرب» بين إسرائيل وإيران إلى «مرحلة جديدة». وعليه، ارتفعت ليس فقط احتمالات اندلاع صراع شامل بين الطرفين، لكن أيضا دخول قوى خارجية، مثل الولايات المتحدة، وهي النتيجة التي سيكون لها «تأثير مدمر على المنطقة والاقتصاد العالمي».

ويتزامن هذا التهديد مع تقييمات المراقبين الغربيين، بشأن تعرض إيران لضعف شديد في الأشهر الأخيرة. وعلقت «سنام فاكيل»، من «المعهد الملكي للشؤون الدولية»، بأن الأحداث الأخيرة كشفت عن «نقاط الضعف الاستراتيجية والعسكرية لطهران». وأضافت «إيلي جيرانمايه»، من «المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية»، أنها تمر بـ«لحظة حساب»، فيما يتعلق بقوتها ونفوذها الإقليميين في المستقبل». ووفقًا لتقييم «الخطيب»؛ فإن «تداعيات انهيار الأسد»، واستهداف وكلاء إيران في لبنان، تعني أن «الضعف المفاجئ لطهران، التي كانت أصلاً مترنحة، يزيد من احتمالية تشكك وكلائها المتبقين في موثوقية راعيهم».

وبينما أشارت «الخطيب»، إلى أن تتابع الأحداث الأخيرة سيؤدي حتمًا إلى «نهاية النظام الإقليمي الذي تهيمن عليه إيران»؛ فقد أكدت «مالوني»، أن النظام الإيراني «يمكنه تجاوز العديد من النكسات والأزمات الكبرى» على مر تاريخه، بفضل «مرونته غير المسبوقة»، خاصة أن أسرار نجاحه تكمن في «براعته في ممارسة كافة أشكال العدوان تحت أي ضغوط»، و«استعداده للتلاعب والمراوغة لفترات طويلة ضد خصومه»، وقدرته على «التراجع أو التحول في مواقفه وتحركاته حسب الضرورة»، وامتلاكه «القدرة على نشر موارده واستغلال شبكة علاقاته المحدودة بشكل محنك»؛ مما يمكنه من تنفيذ «هجمات»، ضد منافسين أكثر قوة.

وفي هذا الصدد، أشارت «جيرانمايه»، إلى أن إيران تظل «قوة إقليمية»، تمتلك «خيارات تمكنها من المضي قدمًا»، وأن بإمكانها «التمسك بتأثيرها وتكثيف جهودها في إعادة بناء محور المقاومة بمنظور طويل المدى»، مضيفة أن المسؤولين الإيرانيين قد يفكرون الآن بشكل أكثر جدية في «اتخاذ قفزة مكلفة»، من كونها دولة لا تزال على عتبة النووية، إلى دولة تمتلك أسلحة نووية. واعترفت «مالوني»، بأن هذه الخطوة تمثل وسيلة تحمي بها نفسها ضد كل من إسرائيل والولايات المتحدة، مع اعتقادها بأن ذلك سيؤدي إلى «موجة أوسع من الانتشار النووي» في الشرق الأوسط وخارجه.

وعلى مدى السنوات الأربع المقبلة تعتبر عودة «ترامب»، عاملاً مؤثرًا في تحديد نتيجة النظام الإقليمي في الشرق الأوسط. وفي رأي «مالوني»؛ فإن نهجه «المزعج للغاية» في العلاقات الخارجية «قد لا يكون أفضل وصفة لاستقرار المنطقة». ومع ذلك، رأت أن هذه قد تكون «اللحظة المناسبة للفوضى غير التقليدية وغير المتوقعة وغير المقصودة»، التي يُتوقع أن تجلبها إدارة البيت الأبيض القادمة.

ومع استعداده لدخول البيت الأبيض، من المتوقع أن يستعيد «ترامب»، سياساته العدوانية ضد طهران. وأشارت «مالوني»، إلى أن فريق الرئيس المنتخب من كبار مستشاري السياسة الخارجية، مثل وزير الخارجية «ماركو روبيو»، ومستشار الأمن القومي «مايك والتز»، «لن يبالوا كثيرًا بالعواقب المحتملة»، جراء المحاولات المستمرة للحد من قدرات الحوثيين في اليمن، والميليشيات الشيعية في العراق، محذرة من أن هذا قد يؤدي إلى انتقام هذه الجماعات من المصالح الأمريكية في المنطقة. وفي الوقت نفسه، أشارت «جيرانمايه»، إلى أنه إذا أعطى «الضوء الأخضر»، لإسرائيل لشن ضربات مسلحة ضد المنشآت النووية الإيرانية؛ فإن «الرموز داخل المؤسسة الإيرانية»، التي تدعو إلى تسليح البرنامج النووي؛ ستكتسب قاعدة دعم قوية، ما من شأنه أن «يؤدي إلى إطلاق فصل جديد من الصراع في الشرق الأوسط».

ومع ذلك، اعتقدت «مالوني»، أن سياسات ترامب تجاه الشرق الأوسط، قد تكون «أكثر عقلانية»، مما يتوقعه الكثيرون، ولن تصل إلى «المواجهة الصارمة» مع خصوم الولايات المتحدة وإسرائيل. ومع تعهده بإنهاء الحرب في غزة -رغم أنه لم يحدد كيفية أو نتائج ذلك -أشارت الباحثة إلى أن تحقيق هذا الهدف، يتطلب «استراتيجية أكثر تعقيدًا من مجرد مهاجمة إيران ووكلائها». وفي تفسيرها لهذا الرأي، لفتت إلى أن «الأدوات الاقتصادية والسياسية التي استخدمتها إدارته الأولى ضد إيران بين عامي ٢٠١٧ و٢٠٢١، وعلى رأسها العقوبات الاقتصادية على صادرات النفط؛ ستكون «أقل فعالية» بدءًا من عام ٢٠٢٥ فصاعدًا، خاصة أن «شبكات التهريب التي تتيح للنفط الإيراني الوصول إلى الصين، أصبحت أكثر تعقيدًا وصعوبة في مواجهتها من خلال فرض العقوبات وحدها».

وعلى الرغم من أن «مالوني»، خلصت لاحقًا إلى أن ميل الجمهوريين في واشنطن، إلى «استعراض العضلات الأمريكية»، إلى جانب «ولع ترامب بعقد الصفقات»؛ قد يسهم في تحقيق بعض النجاحات في سياق التوترات الحالية في الشرق الأوسط؛ فقد اعترفت أيضًا بأن مثل هذه النتيجة لن تؤثر على الوضع الراهن للخصمين الرئيسيين في المنطقة؛ فإيران ستستمر في «الانغماس في العداء تجاه كل من إسرائيل والولايات المتحدة»، بينما سيواصل نتنياهو «الاستفادة الاستراتيجية من النهج العسكري»، مع تحقيق مكاسب سياسية داخلية، ما يجعله غير مهتم بأي مفاوضات من شأنها أن توفر المزيد من الوقت لأعدائه.

وعلى الرغم من تقديم خبراء، مثل «الخطيب»، و«نصر»، تحليلات جيدة، حول «نظام إقليمي جديد يتشكل مع انهيار نظام الأسد في سوريا»، ما قد يعكس ضعف القوة والنفوذ الإيراني في الشرق الأوسط على المدى الطويل؛ فقد أشار «جريج كارلستروم»، من مجلة «الإيكونوميست»، إلى أن الوضع سيظل على ما هو عليه حاليًا، موضحا أنه «في نهاية المطاف، ستحدد الولايات المتحدة وإيران وإسرائيل ما سيحدث في الشرق الأوسط»، ما يفرض على البلدان داخل المنطقة وخارجها مراقبة التطورات «بقلق».

هل يستوعب الديمقراطيون الدروس من خيبتهم الانتخابية؟

بقلم:
د. جيمس زغبي ○

لا يزال الديمقراطيون يتجرعون مرارة الخيبة ويعانون من صدمة الخسارة أمام دونالد ترامب للمرة الثانية في الانتخابات الرئاسية الثلاثة الماضية. لا يزال هناك قدر كبير من توجيه أصابع الاتهام والبحث عن الذات، حيث يكتب الصحفيون والناشطون عما يمكن أن نسميه «تشريح الجثث» لفهم أسباب الهزيمة والدروس المستفادة التي يمكن تعلمها للمضي قدمًا إلى الأمام.

سأكون أكثر دعمًا وأقل تشكيكا بشأن مزايا بعض هذه الأمور لولا أن هناك سببين اثنين وجب التوقف عندهما. في المقام الأول، سوف تركز أغلب عمليات «التشريح» هذه بشكل ضيق للغاية على هذه الانتخابات الأخيرة، وكأن المشاكل التي واجهها الديمقراطيون قد ظهرت للتو هذا العام.

ثانياً، إذا كان الماضي بمثابة مقدمة لما يمكن أن يحدث وما يمكن أن يترتب عليه من تداعيات، فمن المرجح أن يقرأ هذه «الدراسات» عدد قليل من الناس، ثم يتم وضعها على الرفوف ويكون مآلها النسيان.

وفي الواقع فإن أي تحليل جاد يسعى إلى فهم ما حدث في الخامس من نوفمبر ٢٠٢٤ لابد أن يبدأ بالاعتراف بأن بذور هزيمة الديمقراطيين هذا العام قد زُرعت في الحقيقة قبل عقود من الزمن وهي الآن تؤتي ثمارها وأي ثمار.

قبل بضعة أسابيع، كتبت بدوري موجها أصابع الاتهام، لكنني الآن أريد أن أنظر بشكل أعمق إلى القوى التي أصبحت تشكل معالم مشهدنا السياسي. فيما يلي بعض هذه العوامل:

لقد تركت التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية العميقة في الحياة الأمريكية ملايين الناخبين في حالة من عدم الاستقرار وعدم الأمان والغضب. لقد وجدوا أنفسهم من دون مرساة، فراحوا يبحثون عن اليقين.

وفي لحظات أخرى مماثلة من التاريخ، تحولت الشعوب التي اهتزت بسبب مثل هذه الاضطرابات إلى أشكال من الأصولية - العثور على اليقين في ماض أسطوري مجيد - أو اللجوء إلى «القادة الأقوياء» الذين شعروا أنهم يفهمون محنتهم.

بالإضافة إلى هذه التغيرات المجتمعية المتلاحقة، تركت الأحداث الدرامية والتحولات المتسارعة ندوباً عميقة في نفسية الأمريكيين. لقد تركت الهجمات الإرهابية التي حدثت في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والحروب الفاشلة في العراق وأفغانستان الأمريكيين في حالة يشعرون فيها بالضعف ورؤية مكانة بلادهم في العالم تتضاءل.

أضف إلى ذلك الانهيار الاقتصادي التي هز حياة الناس في الفترة ٢٠٠٨-٢٠٠٩ والذي حطم الثقة في الحلم الأمريكي، وحوادث إطلاق النار الجماعية المروعة المتكررة للغاية، والتأثيرات المؤلمة لفيروس كورونا، ويصبح لديك مجتمع على حافة الهاوية في انتظار «السقوط النهائي».

وفي هذا السياق، تشكل استجابة القيادة السياسية للناخبين غير المستقرين أهمية بالغة. ومن جانبهم، حقق الجمهوريون بعض النجاح في استغلال الخوف وتوسيع نطاقه والعزف على وتر الهواجس التي تقض مضجع الأمريكيين.

منذ فترة رئاسة ريتشارد نيكسون وحتى اليوم، كان هناك خيط ثابت في قواعد اللعبة الجمهورية ألا وهو العمل على استغلال مخاوف الناخبين وانعدام شعورهم بالأمان. على سبيل المثال، كانت الأهداف المبكرة هي المستفيدين من الرعاية الاجتماعية أو المجرمين «السود».

وقام الرئيس المنتخب دونالد ترامب بتوسيع القائمة لتشمل المهاجرين، وخاصة المكسيكيين والمسلمين، و«الدولة العميقة»، وأي مجموعة تتحداه تقريبًا. لقد استخدم ترامب مبدأ «الخوف منهم» كسلاح فعال لتعزيز حملته ضد المعارضين.

ومن ناحية أخرى، بدا الديمقراطيون منفصلين ومنقطعين عن التحديات التي يواجهها معظم الناخبين. وبدلاً من التحدث مباشرة عن آلام هؤلاء الناخبين، تحدث الديمقراطيون عن البرامج التي أطلقوها، والتقدم الذي أحرزوه في خلق فرص العمل، وإنقاذ البيئة، وحماية خيارات الرعاية الصحية للمرأة والحاجة إلى نهج متوازن للهجرة.

ورغم أن كل هذا صحيح، فإن هذه الخطابات حول السياسة بدت «مهتزة»، مما جعل الديمقراطيين يبدون بعيدين عن الواقع، أو رافضين، أو حتى متعالين.

وفي الحقيقة فإن ما أراده الناخبون هو أن يعرفوا أن المرشحين يفهمون مشاعر عدم الأمان والغضب لديهم. إن الديمقراطيين الذين كانوا فعالين في القيام بذلك هم فعلا أولئك الذين يمكن للناخبين التواصل معهم.

لقد تمكن باراك أوباما من تحويل الناخبين من الخوف إلى الأمل. وكان جو بايدن، وحتى بيرني ساندرز (وإن لم يكن في السباق الرئاسي)، ناجحين لأنهم أظهروا للناخبين أنهم أيضا غاضبون من التفاوت في الدخل وفقدان الوظائف ووعدوا بالنضال من أجل ذلك.

خلاصة القول هي أن الناخبين يحتاجون إلى معرفة أن أولئك الذين سيقودونهم يفهمون موقفهم ويحسون بما ينتابهم من مشاعر وهواجس ومخاوف.

خلال السنوات الخمس والسبعين الأولى من القرن الماضي، عمل الديمقراطيون وفقاً لفلسفة بسيطة. وباعتبارهم الحزب الذي دعم العدالة الاقتصادية للعمال، فقد اعتقدوا أن الحكومة لديها دور تلعبه، كما كانت تقول والدتي، «لمد يد العون لأولئك الذين لا يستطيعون رفع أنفسهم». ومن ناحية أخرى، كان الجمهوريون هم الحزب الذي يحمي الأغنياء، وكان شعارهم «ضرائب أقل، حكومة أقل».

لقد تغير كل هذا، وكما تفاخر أحد أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوري مؤخراً قائلاً: «لقد أصبحنا حزب الطبقة العاملة، في حين أصبح الديمقراطيون حزب النخب». إنهم ليسوا كذلك، ولكن هذا هو التصور الذي نجحوا في خلقه.

كيف حدث ذلك؟ اسأل أحد الديمقراطيين اليوم عما يمثله الحزب، ولن تحصل على إجابة والدتي. وبدلاً من ذلك، ستحصل على محاضرة حول مجموعة من القضايا الاجتماعية التي لا يوجد بها رابط يربطها أو يجعلها ذات صلة بالناخبين من الطبقة العاملة.

ومن ناحية أخرى، عندما سئل الجمهوريون عما يؤيدونه، لن يقولوا ضرائب أقل. وبدلاً من ذلك، سوف يقومون بسحب قائمة ترامب الخاصة بـ «البعبع» والقضايا الثقافية للديمقراطيين التي يكرهونها.

أو إنهم سيقولون ببساطة: «اجعلوا أمريكا عظيمة مرة أخرى» -وهي عبارة شاملة تستحضر العودة إلى «مجد» الماضي بكل ما تنطوي عليه، أو مكافحة العلل الاجتماعية الناجمة عن التغير الثقافي الذي يدعو إليه الديمقراطيون، أو ببساطة الدفاع عن ترامب ضد خصومه. وكما قال أحد الإعلانات التليفزيونية الجمهورية الأكثر نجاحاً: «كامالا من أجلهم هم» بينما «الرئيس ترامب من أجلك».

لقد مر وقت كانت فيه الأحزاب السياسية هي التي تقود السياسة وكانت بمثابة منظمات حقيقية، من المستوى المحلي إلى مستوى الدولة إلى المستوى الوطني. كان الناس ينتمون إلى الحزب. لم يعد هذا هو الحال مع الأسف.

اليوم، أصبحت الأحزاب بمثابة أدوات لجمع التبرعات، وجمع الثروات لدفع تكاليف المستشارين، الذين يديرون الحملات وفي كثير من الأحيان الأحزاب أيضًا. وفي حين يسهم العديد من الناخبين بمبالغ صغيرة، يسهم المانحون الرئيسيون بمبالغ مكونة من سبعة وثمانية أرقام.

هناك مشكلة حقيقية مع المستشارين الديمقراطيين. إنهم نفس المجموعة من الشخصيات التي كانت تدير السياسة وتدمرها لعقود من الزمن - متبعين نفس قواعد اللعبة ويفتقرون إلى أي تقدير للتغيرات التي تطرأ على الناخبين.

إن المستشارين الديمقراطيين يمثلون مشكلة حقيقية لأنهم يفتقرون إلى الخيال ويتجنبون المخاطرة، ويربطون المرشحين بالتحذيرات بشأن ما يمكنهم قوله وما لا ينبغي عليهم قوله.

ومع ذلك، حرر الرئيس ترامب نفسه من طبقة المستشارين الجمهوريين، وقام بتهميشهم وتصرف بدلا من ذلك بناء على حدسه. لقد قرأ الناخبون هذا على أنه حقيقي.

إن ما حدث في هذه الانتخابات الرئيسية الأخيرة تمثل في موضوعات وسلوكيات ظلت تختمر لعقود من الزمن. وما لم يلق الديمقراطيون نظرة فاحصة طويلة على كيف ولماذا فقدوا الاتصال بالناخبين من الطبقة العاملة وسمحوا للمستشارين بالسيطرة على رئاسة الحزب ومرشحيه وتواصلهم، فإن هزيمة الخامس من نوفمبر ٢٠٢٤ قد تتكرر.

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي

عالم يتغير

الأوطان مرآة شعوبها!

فوزية رشيد

○ الأوطان في فعل عكسها لما يجري فيها، تشير إلى حقيقة شعوبها، تلك الشعوب التي ترى أفعالا منعكسة في مرآة الوطن، سواء كانت إنجازات وطموحات أو كانت خسائر واندحارات! فهي الأوطان التي تعكس ما وصلت إليه شعوبها من رقي وحضارة وثقافة وقيم أو تخلف وتأخر وجهل! ولفهم ماهية الشعوب لا بد من فهم أحوال الوطن وسياقاته ومساراته، وما بذلته القيادات فيها ومؤسسات الدولة الرسمية، وما بذلته أيضاً المؤسسات الشعبية والأهلية والمدنية، وما وصلت إليه في جوانب مختلفة أهمها أمنها الوطني واستقرارها، وحماية هويتها الوطنية وقيمها، وكيفية الحفاظ على أفضل ما في تاريخها وحضارتها وأصالتها! وكيف تبني أجيالها وتعليمها وتستثمر في مواطنيها، وكيف تواجه التحديات وتقبض بيديها على الفرص لتحقق رفاهية شعبها.

○ قد تبدو تلك الأمور من المسلمّات، ولكن في مقياس التطبيق تتحوّل أكثرها إلى تحديات، خاصة إذا ترعرع الفساد والأنانيات في بيئتها، وانعدمت الرؤية الاستراتيجية لدى قياداتها الرسمية أو الشعبية، ليصبح ما هو مطلب بديهي وطبيعي صعب تحقيقه، وقد تغلبت الرؤى الضيقة والمصالح الأنانية للبعض الى فساد خاص، لمن يرسم صورة الوطن في مرآته الخاصة، وهو لا يرى المرآة الكبيرة التي هي مرآة الوطن التي يتجلى فيها كل شيء، سواء كان جيداً أو رديئاً!

○ بالتفاتة بسيطة إلى المحيط العربي والإقليمي والدولي، وما يهمنا أننا نرى أوطاناً عربية تمتلك كل الإمكانيات وتمتلك ثروات مختلفة، لكنها وبيد أبنائها تمزقت وتخلفت واضطربت، بعد أن استجابت بفئات فيها إلى مسارات الفوضى المرسومة لها، والمخططات التي تعبث بمصائرها، وحيث لا نجاح لأي مخطط خارجي من دون عوامل ذاتية منها العمالة للخارج، أو المصالح الفردية والفئوية الضيقة، التي تهمل في طريق أنانيتها أو فوضاها الفكرية والإيديولوجية، ما تعكسه على مرآة أوطانها من صراعات وتمزّق تُسهم في إنجاح استهدافها من الخارج أو حتى من الداخل!

○ هناك شعوب بالفطرة تغلب عليها وعلى سلوكياتها الرؤية الوطنية، فتفدي أوطانها بالغالي وبكل شيء، خوفاً من أن يتدحرج الوطن الى الفوضى! بينما أوطان عربية سلمت نفسها وعلى يد بعض أبنائها إلى الخراب والدمار، ولم تفهم في لغة الوطن إلا مصالحها الأنانية، بل دمرت شعوبها، ومارست القتل فيهم بناء على اختلافات مذهبية أو إيديولوجية، فالوطن بالنسبة إليها يتحول إلى مزرعة خاصة للنهب والقتل والتدمير، وكأن لا رابط يربطها بتراب هذا الوطن أو هوائه، أو تاريخه أو هويته أو حتى وجوده!

○ الوطنية التي يتم محاولة تذويبها بأيادي العولمة الشرسة ومعايير الرأسمالية المتوحشة والليبرالية الجديدة لبعض القوى الكبرى، التي تريد تذويب الأوطان لتتحول إلى مجرد أسواق استهلاكية من دون روح أو هويّة أو خصوصية تاريخية وثقافية وحضارية! هذه «الوطنية» وإعلاء قيمة الانتماء للوطن للحفاظ عليه، وعلى أمنه واستقراره، هي ذاتها المعيار الذي من خلال التشبث به يتم حفظ الوطن، ويتم إعلاؤه كقيمة أساسية وضرورية على ما عداه من منطلقات إيديولوجية أو طائفية أو ليبرالية جديدة تنسف الهويات وتنسف الشعوب لمجرد تحقيق غايات كالسيطرة والهيمنة والتفوق والارتزاق على ثروات الشعوب المقهورة!

○ رأينا ما رأينا من مرايا كثيرة يعكس بعضها الأطماع وبعضها الفساد العالمي ونظامه أو بعضها يعكس توق الشعوب إلى نيل حريتها وإرادتها وحلمها الوطني، وبعضها الآخر كيف يتحول الوطن إلى غابة تتصارع فيه الانتماءات والولاءات والتطلعات للسلطة فتدمر أوطانها وكأنها لا ترى العيون المتربصة بتلك الأوطان! ورأينا كيف يتحول الحلم إلى كابوس، والنظام إلى فوضى، وكيف تتشرّد الشعوب، وكيف تتدمر الأوطان، وكيف يعيث الخراب في النفوس المتصارعة، وكيف تبيع أنظمة دول أبناءها للحفاظ على بقائها، وكيف تمارس أبشع الجرائم في حق مواطنيها، وكيف وكيف، والخلاصة أن كل من يفعل ذلك، لا يفهم معنى الوطن، ولا قيمة الإنسان، ولا يدرك معنى الإخلاص للوطن ولشعبه، ولا يرى نفسه قط في مرآة الوطن ومرآة التاريخ!

سوريا الجديدة إلى أين؟

بقلم:
د. نبيل العسومي

شهدت الأيام الأخيرة في حياة سوريا الجديدة عديدا من التحركات والزيارات واللقاءات التي تعطي بعض المؤشرات حول آفاق سوريا الجديدة وكذلك التحولات المحتملة في المرحلة القادمة.

على الصعيد الإقليمي من الواضح أن التحركات التركية تتصدر المشهد بوجه خاص من خلال الزيارات الرسمية التي يقوم بها مسؤولون أتراك إلى دمشق من بينهم رئيس المخابرات التركية وزيارة وزير الخارجية وربما حتى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وفق بعض المصادر الإعلامية والصحفية بما يؤشر إلى الدور التركي المتنامي سياسيا وأمنيا واقتصاديا ويمكن تقسيم هذا المؤشر إلى قسمين:

الأول: على المستوى السياسي الأمني يبدو أن تركيا ساعية بشكل حثيث وسريع إلى تحقيق الاستقرار في سوريا وتركيز نظام سياسي جديد يتوافق مع توجهاتها ذات الطابع الإسلامي العلماني بتعزيز قبضة جبهة تحرير الشام التي تتصدر المشهد السياسي السوري لأن هذا الاستقرار وهذا التوجه السياسي أمر أساسي لكسب الدعم الغربي عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة ودعم دول الجوار باستثناء إسرائيل التي لها حسابات أخرى سنأتي على توضيحها.

إن تثبيت أقدام النظام السياسي الجديد بصورته التي توحي بالاعتدال والقبول بالتنوع واحترام الأقليات والأخذ بالتعددية السياسية واستيعاب كل الاتجاهات السياسية السورية بما في ذلك الأكراد والدروز والعلويين والمسيحيين هي الصورة المثالية المنشودة والتي تدفع تركيا والدول الغربية نحوها فهل تتمكن السلطة الحالية من تحقيق هذا الهدف وبناء نظام سياسي مقبول من مجمل السوريين ومن الدول الغربية ومن معظم دول الجوار على الأقل وهي صورة مأمولة ولكنها قد تكون على الأرجح صعبة التحقيق في ظل التعقيدات التي يشهدها الواقع السوري الحالي.

الثاني: على صعيد العلاقة مع الكيان الصهيوني فمن الواضح من خلال السلوك الإسرائيلي خلال الأسابيع القليلة الماضية أن إسرائيل لا تريد لسوريا الجديدة أن تستقر وأن تهدأ وأن يكون فيها نظام سياسي معتدل ومدعوم من الغرب ودول الجوار لأن ذلك من شأنه أن يكف يدها عن التدخل في سوريا والتوقف عن الاعتداءات اليومية خاصة أنها تستهدف بشكل معلن وواضح احتلال المزيد والمزيد من الأراضي السورية في جبل الشيخ وهضبة الجولان وربما في مناطق أخرى إضافة إلى حرية حركة الطيران في الأراضي والأجواء السورية ولذلك فإن الاعتقاد السائد بأن إسرائيل ستكون أكثر الدول انزعاجا وعملا على عدم استعادة الاستقرار في هذا البلد العربي الشقيق وقد قامت إسرائيل بتدمير الجيش عن بكرة أبيه.

الثالث: على صعيد العلاقة مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية فإنه من الواضح خاصة بعد اللقاء بعدد من المسؤولين الأمريكان فإن الزعيم الجديد أحمد الشرع في دمشق وما صدر عن هذه اللقاءات من تأكيدات إيجابية بأن الولايات المتحدة الأمريكية تعترف بشكل أو بآخر بالنظام الجديد وراضون بمدى التزامه بالتعهدات الصادرة عن الشرع بإطلاق حوار وطني شامل بشأن المرحلة الانتقالية وآليات إدارة شؤون الدولة السورية الجديدة في المرحلة المقبلة بعد سقوط النظام، وربما أن أبرز ما جاء في التصريحات الأمريكية تتعلق بالتحولات في سوريا حيث أشار الأمريكان إلى أن الوضع قد تغير وأن الأكراد لم يكونوا مهددين وعليهم أن يكونوا جزءا من سوريا الموحدة والتفاوض مع النظام الجديد عن الوضع الخاص بالأكراد.

في العلاقة مع روسيا الاتحادية يبدو أن هذه العلاقة لم تتضح آفاقها بعد مع أنه من الواضح عدم وجود صدام بين النظام الجديد والقوات الروسية في قاعدتي حميم وطرطوس وهذا مؤشر إيجابي ولكن هل ستبقى هاتان القاعدتان في سوريا في المرحلة القادمة أم أن ضغوط غربية قد تؤدي إلى إلغاء الاتفاق السوري الروسي بشأن القاعدتين ولكن العديد من التحليلات السياسية والإعلامية تشير إلى أن الضغوط الأمريكية بالذات تدفع نحو الخروج النهائي للقوات الروسية من سوريا وبالتالي تتوقف روسيا تماما في أن تكون لاعبا سياسيا وعسكريا وأمنيا في هذه المنطقة الحيوية في المستقبل مع أن الروس قد أرسلوا رسائل عديدة إيجابية منها الاستفادة من القاعدتين لتقديم المعونات للشعب السوري سواء من الشحنات القادمة من روسيا أو من أي جهات أخرى.

إن التحركات التي تشهدها دمشق حاليا تفتح الباب أمام العديد من المسارات التي لا نعلم نهايتها ولكن نتوقع أن هذا الحراك الدولي الإقليمي بشان سوريا وتعدد الوفود التي تزور دمشق قد يفتح الباب أمام نوع من المصالحة الوطنية السورية والاتفاق على مجلس انتقالي وطني سوري يمثل كل المناطق والطوائف لإعداد دستور جديد بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وتركيا بوجه خاص تمهيدا للإعلان عن انتخابات رئاسية وتشريعية للمرحلة القادمة والتي قد تستمر ستة أشهر أو سنة كاملة حسب التقديرات المتداولة إعلاميا وسياسيا فهل تنجح سوريا الجديدة في الخروج من عنق الزجاجة وهل تنجو من الحرب الأهلية أو التقسيم؟ نتمنى ذلك فسوريا عزيزة على كل مواطن عربي.